(٤٢) خطبة الاستسقاء

الحمد لله الغني الحميد أحمده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، القائل في كتابه المجيد ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الشورى٢٨].

وأشهد أن محمدًا عبد ورسوله ﷺ ،سلامًا يزيد ولا يبيد.

أما بعد:

فيا أيها المسلمون: اتقوا الله تعالى وأطيعوه ، وامتثلوا أمره ولا تعصوه ، واعلموا عباد الله أن الله تعالى بحكمته البالغة يبتلي عباده المؤمنين بالجدب والقحط والسنين ، قال الله تعالى : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[الأنبياء٣٥].

وقال تعالى :﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾[البقرة١٥٥].

وهذه الابتلاءات تكون سببًا لرجوع الخلق إليه وتضرعهم بين يديه تبارك وتعالى ، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[الروم٤١].

وهذه المصائب التي تصيب العباد إنما هي بأعمالهم وما كسبته أيديهم وما يعفو الله عنه أكثر قال الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾[الشورى٣٠].

وقال الله تعالى : ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥ ﴾[آل عمران١٦٥].

فإذا ضيع الناس الدين وغيروا غير الله أحوالهم قال الله تعالى :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ ١١ ﴾[الرعد١١].

عباد الله: إن قلة الأمطار وانتشار الجدب والقحط ، وحبس الغيث من السماء له أسباب يجب أن نتذكر ذلك كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ١٣٠ ﴾ [الأعراف١٣٠].

فهل تذكرنا ذنوبنا وسيئاتنا وتبنا منها إلى الله توبة صادقة وعدنا إلى ربنا عودة خالصة وهلا تضرعنا إلى ربنا ، ليكشف ما حل بنا ولكن أصبحت قلوبنا قاسية وأعمالنا سيئة -إلا من رحم الله - ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ٤٢ ﴾ [الأنعام٤٢].

وقال تعالى :﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦ ﴾[الأعراف٥٥ـ٥٦].

إذا كنت في نعمة فارعها فإن المعاصي تزيل النعم
وداوم عليها بشكر الإله فشكر الإله يزيل النقم

فيا أمة الإسلام: العودة العودة إلى الله، حققوا التوبة، وردوا المظالم إلى أصحابها.

يـا رب عـبـدك قـد أتـاك وقـد أسـاء وقـد هـفـا
يكفيـه مـنـك حـيـاؤه مـن سـوء مـا قـد أسـلـفـا
حمـل الـذنـوب عـلى الـذنـ ـوب المـوبـقـات وأسرفـا
رب اعـف عـنـه وعـافـه فـلأنـت أولى مـن عـفـا

والتوبة إلى الله لابد لها من شروط وهي الندم والعزم على عدم العودة إلى الذنوب وإرجاع الحقوق إلى ذويها ، ولله در من قال:

شروط توبتهم إن رمت عدتها ثلاثة رتبت فافهم على عجلِ
إقلاعه ندم وعزمه أبـدًا ألا يعود لما منه جرى وقلِ
إن كان توبته من ظلم صاحبه لابد من رده للحق في عجلِ

معاشر المسلمين: ولقد ابتلي المسلمون بالقحط في زمن النبي ﷺ وزمن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم جميعًا ولكنهم كانوا يفزعون إلى ربهم بالصلاة والدعاء والتضرع فيكشف الله ما بهم ويأتيهم الفرج من الله تبارك وتعالى ففي سُنَن أبي داود[1] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: شكا الناس إلى رسول الله ﷺ قحوط المطر فأمر بمنبر فوضع له في المصلى ووعد الناس يومًا يخرجون فيه قالت عائشة فخرج رسول الله ﷺ حين بدا حاجب الشمس فقعد على المنبر فكبر ﷺ وحمد الله عَزَّوَجَلَّ ثم قال: [**إنكم شكوتم جدب دياركم واستئخار المطر عن إبان زمانه عنكم، وقد أمركم الله عَزَّوَجَلَّ أن تدعوه ووعدكم أن يستجيب لكم ،ثم قال:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ **لا إله إلا الله يفعل**

(١) صحيح أبي ردود برقم (١١٧٣).

ما يريد ، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت الغني ونحن الفقراء ، أنزل علينا الغيث واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغًا إلى حين « ثم رفع يديه فلم يزل في الرفع حتى بدا بياض إبطيه ثم حول إلى الناس ظهره وقلب أوحول رداءه وهو رافع يديه ثم أقبل على الناس ونزل فصلى ركعتين فأنشأ الله سحابة فرعدت وبرقت ثم أمطرت بإذن الله ، فلم يأت مسجده حتى سالت السيول فلما رأى سرعتهم إلى الكن ـ الكن بكسر الكاف كل ما وقى الحر والبرد من المساكن ـ ضحك ﷺ حتى بدت نواجذه فقال : أشهد أن الله على كل شيء قدير وأني عبد الله ورسوله].

وفي الصحيحين[1] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا دخل المسجد يوم الجمعة من باب كان نحو دار القضاء ورسول الله ﷺ قائم يخطب فاستقبل رسول الله ﷺ قائمًا ثم قال : يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يغثنا . فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: [**اللهم أغثنا اللهم أغثنا اللهم أغثنا**]. قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار . قال : فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت. قال : والله ما رأينا الشمس ستًا . ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة -يعني الثانية- ورسول الله ﷺ قائم يخطب فاستقبله قائمًا فقال : يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يمسكها عنا . قال : فرفع رسول الله يديه ثم قال: [**اللهم حولينا ولا علينا اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر**] . قال : فأقلعت وخرجنا نمشي في الشمس قال: شريك فسألت أنسًا أهو الرجل الأول ؟ فقال : لا أدري .

---

(١) البخاري برقم (١٠١٤) ومسلم برقم (٨٩٧).

عباد الله: هذا هو الرب الذي أغاثهم ورحمهم وكشف ضرهم وأجاب دعاءهم لأنه تعالى يجيب دعوة المضطرين ويجبر كسر المنكسرين ويغيث الملهوفين تبارك وتعالى ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النمل٦٢].

فإنزال الغيث إنما هو بأمر الله وقدرته قال تعالى :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[لقمان٣٤].

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾[الشورى٢٨].

وقال تعالى :﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [المرسلات٢٧].

فعليكم معاشر المؤمنين بالدعاء والتوبة والإستغفار فكل هذه الأمور يدفع الله بها البلاء ويرفع بها الضراء قال الله تعالى :﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ ﴾[هود : ٣].

وقال تبارك وتعالى عن نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾[نوح١٠ ـ ١٢].

وقال تعالى عن هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟

مُجۡرِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾[هود :٥٢].

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ما نزل بلاء إلا بذنب ، ولا رفع بلاء إلا بتوبة. (١)

وقال تعالى :﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف٩٦].

فحذارِ حذارِ عباد الله من منع الزكاة فإن منعها سبب في الجدب والقحط كما ثبت في سُنَن ابن ماجه (٢) وغيره عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال : [**يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن لم تظهر الفاحشة في قوم قط . حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع والأمراض التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان عليهم ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوًا من غيرهم فأخذوا بعض ما بأيديهم وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم**].

إخوة الإيمان والإسلام: ارجعوا إلى الله وتعرضوا لنفحاته فهو قريب في علوه عليٌّ في دنوه قال تبارك وتعالى :﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[البقرة: ١٨٦].

---

(١) الجواب الكافي ص (١٠٣).
(٢) صحيح ابن ماجه برقم (٤٠١٩).

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[غافر ٦٠].

وقال تعالى :﴿ فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [غافر١٤].

وادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

اللهم أغث قلوبنا بالإيمان، وبلادنا وبلاد المسلمين بالأمطار يا رحيم يا رحمن، اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، اللهم اسقنا ،اللهم اسقنا غيثًا مغيثًا هنيئًا مريئًا غدقًا مجللًا سحًا عامًا طبقًا دائمًا ، نافعًا غير ضار ،عاجلًا غير آجل.

اللهم اسق عبادك وبلادك وبهائمك ،وانشر رحمتك وأحيي بلدك الميت، اللهم إن بالعباد من اللأواء والجهد والضنك ،ما لا نشكوه إلا إليك، اللهم أنبت الزرع، وأدر لنا الضرع ، واسقنا من بركات السماء ، وأنزل علينا من بركاتك يا أرحم الراحمين .

اللهم إنا خلق من خلقك، ليس بنا غنى عن سقياك ورحمتك ، اللهم إنا خلق من خلقك فلا تمنع عنا بذنوبنا فضلك ، اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفارًا، فأرسل السماء علينا مدرارًا، اللهم اسقنا سقيا رحمة ،لا سقيا عذاب ولا بلاء ،ولا هدم ولا غرق ، اللهم لا تردنا خائبين، ولا عن بابك مطرودين ، ولا من رحمتك محرومين.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .